[63] ولا نستحسن أخذ شئ منكما مع هذا الحال. فقمت وتغير حالى فقال أبى اردد الدراهم على أبى بكر فدفعتها إلى من جاء بها فردها عليه، وكان أبى يصوم تلك الايام كلها فلما غابت الشمس ذلك اليوم وتطهر لم يفرط وصلى المغرب وصليت معه ثم أقبل على الصلاة والدعاء إلى أن صلى العشا الآخرة. ثم دعاني فقال: اجلس يا بنى جائيا على ركبتيك ففعلت، وجلس هو كذلك ثم رفع رأسه إلى السماء فقال يا رب: " محمد بن القاسم قد ظلمنى، وحبسني على ما ترى، وأنا بين يديك، قد استغثت اليك، وأنت أحكم الحاكمين، فاحكم بيننا ". لا يزيد عليها، ثم صاح بها إلى أن ارتفع صوته ولم يزل يكررها بصياح وبكاء، واستغاثة إلى أن ظننت أنه قد مضى ربع الليل. فوا ما قطعها حتى سمعت الباب يدق فذهب عنى أمرى، ولم أشك أنه القتل وفتحت الابواب فدخل قوم بشموع، فتأملت فإذا فيهم سابور خادم القاهر. فقال: أين أبو طاهر ؟ فقام أبى فقال: ها أنا ذاك. فقال أين ولدك ؟ فقال: هو ذا. فقال انصرفا إلى منزلكما. فإذا هو قد قبض على محمد بن القاسم وأخذه إلى دار القاهر فانصرفنا وعاش محمد في الاعتقال ثلاثة أيام ومات. لما خرج طاهر بن الحسين إلى محاربة على بن عيسى بن ماهان جعل ذات يوم في كمه دراهم يفرقها على الفقراء، ثم أسبل كمه ناسيا فانتقضت الدراهم فتطير من ذلك واغتم فانتصب له شاعر فقال: هذا تفرق جمعهم لا غيره * وذهابه منه ذهاب الهم شئ يكون الهم نصف حروفه * لا خير في إمساكه في الكم فسلى همه وما به وأمر له بثلاثين ألف درهم. انصرف يحيى بن خالد البرمكى من عند الهادى وقد ناظره في تسهيل خلع العهد عن هارون الرشيد ويحيى يحلف أنه قد فعل ذلك وجهد به فامتنع هارون. فقال له الهادى: كذبت هذا من فعلك، وا لافعلن بك ولاصنعن، وتوعده بكل عظيمة وصرفه، فجاء إلى داره فكلم غلامه في شئ فأجابه بما أغاظه، فلطمه يحيي فانقطعت حلقة خاتمه وضاع الفص.
